الطّور

مقدّمة

تطوّرت بلدة الطور من قريةٍ صغيرةٍ على قِمَةِ جَبل الزيتون الذي يُعتَبر من أبرز جبال القدس (المحافظة)، ويبلغ ارتفاعه 826 متراً[1]. وبفضل هذا الارتفاع عادةً ما يتوّجهُ أهالي القدس والسيّاحُ إلى مطلة جبل الزيتون (المعروفة كذلك بمطلة الأقواس السّبعة[2]) للإطلالة على البلدة القديمة من جهتها الشرقيّة والتأمل في جمالها وبنائها التاريخيّ العريق.

[1] "بلادنا فلسطين"، مصطفى مراد الدباغ، يمكن مراجعته من خلال موقع "فلسطين في الذاكرة"، جبل المشارف و جبل الزيتون (قرية الطور) - بلادنا فلسطين، صفحة 15- فلسطين في الذاكرة

[2] تُسمّى مطلّة الأقواس السبعة لقربها من فندق الأقواس السبعة الذي يعود للفترة الأردنية في القدس، وتُسمى لدى سلطات الاحتلال وفي خرائطه "مطلة رحبعام زئيفي"، (Rehav'am Observation Point)على اسم وزير السياحة في حكومة الاحتلال الذي اغتيل من قبل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام 2001.

الموقع الجغرافيّ والمساحة

تقع بلدة الطّور (جبل الزيتون) شرق البلدة القديمة للقدس وتحدّها من الشّمال قريةُ العيسوية وحيٌّ وادي الجوز، ومن الجنوب سلوان والعيزرية، ومن الشرق الزعيم ومن الغرب البلدة القديمة والمسجد الأقصى.

تقع الطّور اليوم تحت نفوذ بلدية الاحتلال في القدس، وتبلغ مساحتها حسب التقسيمات الإدارية للبلدية الإسرائيليّة 1747 دونماً، إلا أنّ مساحة أراضيها الأصلية هي 8700 دونم[3]، وهي تشمل الأراضي التي تطوّر فوقها حيٌّ الصوانة على السّفح الغربيّ لجبل الزيتون، إضافةً إلى الأراضي التي تقع ضمن تصنيفات

[3] هذه المساحة حسب معلومات السيد سليم الصياد، أحد العاملين في مجال مساحة الأراضي في الطور، خلال مكالمة هاتفية معه بتاريخ 03.10.2018

اتفاقية أوسلو في أراضي السّلطة الفلسطينيّة، مثل حيّ الزعيم، الذي تشكّل بعد نكبة 1948، إذ سكنه لاجئو قرية دير رافات المُهجّرة غرب القدس، وغيرهم.[4]

التسمية وتاريخ القرية

يذكر مصطفى مراد الدباغ أنّ الجبلَ قد يكون سُمّي كذلك لكثرة أشجار الزيتون التي كانت تكسوه.[5] وقد سمّاه العرب "طور زيتا"، وطور تعني جبلاً، وقد بقي العربُ يُسمّونه كذلك حتى القرن الثاني عشر الهجريّ.[6] وأُضيفت "ال التعريف" للطور متأخّرة، إذ وردت في السجلات العثمانيّة من غير "ال التعريف"، إذ نجد الاسم: طور زيتا، ثمّ اختُصِر مع كثرة الاستعمال إلى الطور.[7] وقد كانت تُعرف في العهد الرومانيّ باسم "بيت فاجي".

يفصلُ جبلَ الزيتون من جهته الغربيّة عن البلدة القديمة وادي ستنا مريم أو وادي جهنم أو وادي النّار، أو وادي سلوان، أو وادي قدرون حسب التّسمية الغربيّة.[8] ويذكر الباحث بشير بركات أنّ الخليفة المسلم عمر بن الخطاب والقائد المسلم صلاح الدين الأيوبيّ عسكرا في هذا الجبل.[9]

---

[4] "معالم قرية الطور الإسلامية"، في كتاب: مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، للباحث بشير بركات، إصدار عام 2005. (الزعيم هو حيّ بني على أراضي قرية الطور).

[5] المصدر رقم 1.

[6] "معالم قرية الطور الإسلامية"، في كتاب: مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، للباحث بشير بركات، إصدار عام 2005.

[7] "أسماء قرى القدس دراسة لغوية دلالية، ناصر الدين أبو خضير، نشر في مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب. نشر كذلك في موقع باب الواد بتاريخ 06.12.2016 أسماء قرى القدس، دراسة لغوية دلالية

[8] المصدر رقم 1.

[9] المصدر رقم 1.

التركيبة السكّانية

يعيش في الطور اليوم ما يقارب 25 ألف فلسطينيّ[10]، أغلبهم من أهالي قرية الطُّور الأصليين، وينقسمون إلى عدة عائلات هي: أبو غنّام، وخويص وهما أكبر عائلتيْن، وتملكان أكبر مساحات من أراضي القرية، والصياد، وأبو الهوى، وأبو سبيتان، والهدرة، وعشاير.[11] بالإضافة إلى عائلات أخرى سكنت الطُّور من القدس والخليل.

الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة

تاريخيّاً، اعتمد النشاطُ الاقتصاديّ في الطُّور على الزراعة بشكلٍ أساسيّ، كزراعة القمح والشّعير والحبوب والكرسنّة، إضافةً إلى تربية الماشية وصناعة الأجبان والألبان والجميد. وبسبب خلوّ القرية من عيون المياه،

[10] "الأحياء العربية في شرق القدس تقييم وبنى تحتيّة، الطور"، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، بحث رقم 454.

[11] حسب معلومات السيد حسن حسن حمد الهدرة رئيس مجلس بلدة الطور السابق، في مقابلة أُجريت معه بتاريخ 20.1.2019.

اعتمدَ الريُّ فيها على الآبار، وقد حَفَرَت كلُّ عائلةٍ بئراً لاستخداماتِها الأساسية. مع تقدم الزمن وازدياد العمران اندثرت معالمُ هذا النشاط الزراعيّ والرعويّ، وانخفضَ بشكلٍ كبيرٍ عددُ العائلات التي تعتمدُ على تربية الماشية.

وكغالبية قرى القدس تركّز السُكان -من أهل القرية الأصليين - في وسط القرية، أي في شارعها الرئيس مقابل مستشفى المقاصد، ثمّ توّسعوا تدريجيّاً إلى أحياءٍ مكتظةٍ بعد زيادة الكثافة السكانيّة وانتقال عائلاتٍ من خارج الطور للسكن فيها.[12]

المعالم

المستشفيات

تحتضن الطُّور عدداً من المؤسسات الفلسطينيّة، وفيها أكبر مستشفيين فلسطينيّين في القدس، أُنشِئَا في منتصف القرن العشرين، هما مستشفى المقاصد التابعة لجمعية المقاصد الخيريّة الإسلاميّة، والذي تتبع له كذلك كليةُ المقاصد الموجودة في الطور، ومستشفى المطلع "أوغستا فكتوريا" التابع للاتحاد اللوثري العالمي. يستقبل هذان المستشفيان المرضى من القدس والضفة الغربيّة وقطاع غزّة.

أما مستشفى المقاصد، فقد كان في آخر مراحل بنائه عشية احتلال القدس عام 1967، وذلك بدعم ماليّ كويتيّ. بعد احتلال القدس، سيطر الحاكم العسكريّ الصهيونيّ عليه، وسعى لتحويله إلى "مبنى حكوميّ"، إلا أنّ الأطباءَ والممرضين وشخصياتٍ وطنيّة من القدس سرعان ما بادروا إلى تأثيثه وإشغاله والتواجد فيه لإثبات عمله كمستشفى، وبهكذا أنقذوه من المصادرة[13].

أما مستشفى المطلّع، فيقع في بنايةٍ تاريخيّةٍ عريقةٍ شُيّدت بين الأعوام 1907-1914 لصالح الإمبراطورية الألمانيّة الأخيرة وملكة بروسيا أوغستا فيكتوريا زوجة القيصر الألماني فيلهلم الثاني Wilhelm II، ويسمّي العرب المكان في بعض المراجع "أم الطلعة". في العام 1914 اتخذه أحمد جمال باشا قائد الجيش العثمانيّ

---

[12] المصدر السابق.

[13] للمزيد عن مستشفى المقاصد في موقعهم الإلكتروني، من هنا: مستشفى المقاصد – مستشفى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية

الرابع مقرّاً لقيادته[14]، ومن ثمّ اتخذه الإنجليز عام 1927 مقراً لحكمهم في أول احتلالهم للبلاد، وذلك قبل أن ينتقل مقرّ الحكم لاحقاً إلى قصر المندوب الساميّ في جبل المكبر.[15] وحُوّل المبنى رسمياً إلى مستشفى عام 1950 تحت الإدارة الألمانيّة.

المعالم الدينيّة: تعتبر الطُّور أحد أهم المواقع الدينيّة والتاريخيّة المهمة والبارزة في القدس، لارتباطها بقصة المسيح عليه السّلام. حسب الرواية المسيحيّة، كان المسيح كثيراً ما يصعد نحو جبل الطّور مبتعداً عن أذى اليهود، أو طالباً للعزلة والتعبد والصلاة. كما يؤمن أصحابُ المعتقد المسيحيّ أنّ السيد المسيحَ صعد إلى السّماء من جبل الطّور بعد أربعين يوماً من صلبه في كنيسة القيامة في البلدة القديمة للقدس.

في الطور عدد من المعالم الإسلاميّة والمسيحيّة، نذكر منها:

المعالم الإسلاميّة

المسجد الأسعدي: يقع جنوبيّ الطّور، وتبلغ مساحته 66 متراً مربعاً، وينسب إلى شيخ الإسلام أسعد أفندي بن سعد الدين التبريزي (توفي 1624م). وبحسب النقش الموجود عليه فقد بُني عام 1615م. تُشير المعلومات المتوافرة عن التبريزي أنّه وَصَلَ إلى القدس بداية عام 1615 في طريق عودته من مكة بعد أداء فريضة الحج، ومكث في المدينة بعض الشيء ومن ثم غادرها إلى اسطنبول، ويبدو أنه طلب بناء المسجد خلال فترة إقامته في القدس. تَغْلُبُ في كثيرٍ من المراجع التاريخيّة تسميةُ الجامع بـ"الزاوية".[16]

مقام رابعة العدوية: يقع جنوبيّ الطّور، أسفل المسجد الأسعدي، وهو مقام يُذكّر بالسّيدة الزاهدة العابدة رابعة العدوية (أغلب الظنّ أنّها عاشت في القرن الثامن الميلادي)، وتُوفيت لاحقاً في البصرة في العراق. تتولى سدانة المقام اليوم عائلةُ العلمي، بالإضافة إلى إشرافها على الزاوية الأسعدية.[17]

---

[14] المصدر رقم 1.

[15] "النكبة الفلسطينية والفردوس المفقود"، عارف العارف، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2012.

[16] ""الزاوية الأسعدية" الحج العلم والصوفية: الفن الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع"، يوسف النتشة، وزارة الثقافة الفلسطينية ومتحف بلا حدود، إصدار 2010.

[17] المصدر رقم1.

مسجد سلمان الفارسي (على الخرائط: شارع سلمان الفارسي 34): يقع شرق الطّور بالقرب من مقبرة القرية، وأصله مزار للصحابيّ سلمان الفارسي رضي الله عنه. تشير المعلومات المتوافرة عنه أنّه بُني قبل عام 1613 م تقريباً، ومن ثم أضيفت إليه عدة إضافات على مرّ التاريخ. في العام 1910 بُني المقام الحالي. ثم في عام 1926 قام السيد محمد عيسى أبو الهوى ببناء جامع له ومئذنة على نفقته (وهو من أبناء الطور الذين أقاموا في أميركا).

المدرسة المنصوريّة: مدرسة دينيّة بنيت في الفترة المملوكيّة، ويشمل بناؤها بئر ماء ومسجداً وساحةً على شكل مربع والمبنى مهجور في الوقت الحالي[18].

المقابر

تقع مقبرةُ القرية في شارع سلمان الفارسي بالقرب من المسجد الذي يحمل نفس الاسم. في المقبرة

[18] "الأحياء العربية في شرق القدس تقييم وبنى تحتيّة، الطور"، معهد القدس للدراسات الإسرائيلية، بحث رقم 454.

مغارةٌ مُغلَقة، يُقال إنّها تَضُمُّ رفات مجاهدين شاركوا في فتح صلاح الدين الأيوبي للقدس في القرن الثاني عشر الميلادي، بينما يذكر آخرون أن المغارة تُسمّى "مقام الأربعين"، وأنّ بداخلها قبراً عليه بقايا كتابة من العهد المملوكيّ.

من أشهر قبور المقبرة المعاصرة، قبرُ شيخ الطريقة القادريّة محمد هاشم حسن البغدادي (1909-1995) وهو شيخ صوفية القدس في عصره،[19] بالإضافة إلى قبر الشيخ محمد سعيد الجمل، صاحب الطريقة الشاذليّة ومدرس في المسجد الأقصى (توفي عام 2015). وتضم كذلك قبور شهداء جبل الزيتون منذ العام 1948 وحتى شهداء الانتفاضة الشعبية الأخيرة (2014-2017)، نذكر منهم الشّهيد محمد حسن أبو غنام، وعلي محمد أبو غنام، وهنادي أبو سبيتان.

المعالم المسيحيّة

كنيسة الصعود اللوثريّة: تقع الكنيسة على إحدى أعلى مناطق القدس المرتفعة، إذ ترتفع 850 متراً فوق سطح البحر. بُنيت بنمط فيلهيلمي-بيزنطيّ، وأُحيطت كلُ واجهات الكنيسة الغربيّة ببناء أمامي متين.[20]

زار القيصر الألمانيّ فيلهلم الثاني فلسطين عام 1898، أي في فترة السُّلطان عبد الحميد الثاني، وذلك لسببين أساسيين، أوّلهما، افتتاح كنيسة الفادي اللوثريّة في البلدة القديمة في القدس، وثانيهما توطيدُ العلاقات بين الدولة العثمانيّة وألمانيا القيصريّة. على إثر هذه الزيارة جرت مفاوضاتٌ لشراء بعض العقارات في القدس، ومن ضمنها الأرض التي بُني عليها لاحقاً مبنى أوغستا فيكتوريا وهو اسم زوجة القيصر فيلهلم الثاني. بيعت الأرض له، ثمّ بُنيت فوقها كنيسة الصعود اللوثرية وقصر ألمانيّ مجاور، وذلك عام 1907. تحوّل القصر إلى مستشفى في عهد الحكم الأردني للقدس.

[19] "معالم قرية الطور الإسلامية"، في كتاب: مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، للباحث بشير بركات، إصدار عام 2005.

[20] "العمارة في القدس: البناء الأوروبي المسيحي خارج الأسوار 1855-1915"، ديفيد كروينكر، ص64.

مصعد عيسى عليه السّلام أو المعروف بـ"موقع قدم عيسى عليه السّلام": "يقع شمال شرقي المسجد الأسعدي، وهو عبارة عن ساحة دائريّة مكشوفة تتوسطها قبةٌ عاليةٌ. وعلى أرضية القبة صخرة صغيرة على شكل قدم ضخم. وفي أطراف الساحة قواعد أعمدة من بقايا كنيسة مهدومة في الموقع، يقول عنها مجير الدين الحنبلي إنها "هيلانية"،[21] أي يُنيت في زمن الملكة هيلانة. تدير هذا الموقع الأوقافُ الإسلاميّةُ كوقفٍ إسلاميّ، ويُعتقد لدى المسيحيين أنّ هذه القدم هي آثار القدم اليسرى للسيد المسيح عليه السّلام، وأنه صعد إلى السماء بعد صلبه من ذلك المكان. ولذلك يُسمى المكان أحياناً "كنيسة الصعود".

يشرح الباحث بشير بركات[22] أنّه عثر في سجلات المحكمة الشرعيّة على ما يدلّ أنّ القبة الموجودة في هذا المكان بُنيت في القرن التاسع عشر، وتحديداً عام 1834، بعد أن هُدِمت القبة السابقة لها في نفس العام

[21] معالم قرية الطور الإسلامية"، في كتاب: مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، للباحث بشير بركات، إصدار عام 2005.

[22] معالم قرية الطور الإسلامية"، في كتاب: مباحث في التاريخ المقدسي الحديث، للباحث بشير بركات، إصدار عام 2005.

نتيجة زلزال. وقد رُمِّمَ الموقعُ عام 2016 على نفقة الأردن.

وقد كانت الدولة العثمانيّة تُعيّن مسؤولين عن العناية بالمكان، أو ما يُسمى "النظر والتولية" على الموقع، إلى أن استقرت هذه المهمة بيد عائلة أبو غنّام وهم من الطُّور، حتى يومنا هذا، بتكليفٍ من دائرة الأوقاف الإسلاميّة. ويزور السّياحُ هذا الموقع ويُقام فيه قداسٌ مرة واحدة في السنة وذلك في عيد الصعود المسيحي، بعد 40 يوماً من قيامة المسيح.

دير الصعود الروسيّ الأرثوذوكسي (أو الكنيسة الروسية الأرثوذوكسيّة): يتم الوصول إليه من خلال إحدى الأزقة بالقرب من الشارع الرئيس في الطور، وهو محاذٍ لمصعد عيسى (كنيسة الصعود). بُني ما بين السنوات 1870-1887. يوجدُ داخل مساحة الدير برجٌ بارتفاع 64 متراً يُرى من مناطق مختلفة في القدس، ويعتبر أحد معالم قرية الطُّور. تشغل الدير راهباتٌ تابعاتٌ للكنيسة الأرثوذوكسية، ويمكن من المكان الإطلالة على الأحياء الواقعة شرقي الطّور، مثل أبو ديس والعيزرية.[23]

كنيسة أبانا الذي في السماء: تقع على طرف الطريق على يدك اليسار وأنت في طريقك نحو مطلة الأقواس السبعة. بُنيت في المكان الذي يُعتَقد أنّ المسيح عليه السّلام علّم فيه تلاميذه الصّلاة، لذلك سُمّيت "أبانا الذي السماء"، وهي البادئة التي تفتتح فيها الصّلاةُ المسيحية.[24]

كنيسة الجسمانية/الجثمانية: تقع على ملتقى الطرق بين سلوان والقدس والطُّور، تُسمّى كنيسة كلُّ الأمم نظراً لاشتراك عدد من الدول في بنائها في عشرينيات القرن العشرين (تقريباً عام 1924)، وهي في أصلها كنيسة بيزنطيّة، وللكنيسة 12 قبة تحمل شعارات الدول التي ساهمت في بنائها، كالبرازيل وإيطاليا وفرنسا والأرجنتين وبريطانيا.[25]

أما كلمة الجسمانية فهي ذات أصل سريانيّ وتعني "معصرة الزيت". وداخل الكنيسة، أمام المذبح توجد

---

[23] "الأماكن المقدسة المسيحية في مدينة القدس"، وكالة وفا، للاطّلاع: الأماكن المقدسة المسيحية في مدينة القدس | مركز المعلومات الوطني الفلسطيني

[24] Sarah Kochav, Mount of Olives, An Authoritative guide to the Christian Holy.

[25] موقع "الآباء الفرنسيسكان في خدمة حراسة الأراضي المقدسة"، كنيسة الجثمانية:
http://www.gethsemane-en.custodia.org/default.asp?id=5649

صخرةٌ مكشوفةٌ تُسمّى "صخرة نزاع المسيح"، ويروى أنّ عدداً من حواريي السّيد المسيح ناموا بالقرب منها، بينما كان المسيح يتألم قبيل اعتقاله من قبل كهنة اليهود بفترة قصيرة.

في بستان الكنيسة ثماني أشجار زيتون رومانيّة، وقد ذُكر البستان في الإنجيل على أنه مكان اختلاء السيد المسيح وصلاته (التي قال فيها: لتكن لا مشيئتي إنما مشيئتك) وألمه وحزنه الشديد بعد تناوله العشاء الأخير مع تلاميذه، وقبل اعتقاله وصلبه لاحقاً (حسب الاعتقاد المسيحيّ). تُمثّلُ هذه الكنيسة وما حولها "مكان الخيانة عند المسيحيين، ففيها صلّى السيد المسيح صلاته الأخيرة قبل أن تحدث الخيانة، ويشي به يهوذا الإسخريوطي لرئيس الكهنة اليهود".[26]

كنيسة ستنا مريم: تقع إلى الشمال من كنيسة الجثمانية، ويُنزل إليها بدرجٍ حجريّ، وهي مُدَارة من قبل الكنيسة الأرثوذوكسية (اليونان والأرمن). يُعتقد لدى المسيحيين الشرقيّين أنّ السيدة مريم العذراء قد دُفِنَت هناك في مغارةٍ محفورةٍ في الصّخر.

بجوار الكنيسة وقبل النزول في الدرج المؤدي إليها ضريح العالم الشيخ عبد الرحمن مُجير الدين الحنبلي العُليمي (1465 م- 1522م)، وهو مؤرخ وباحث من أهل القدس، أحد كتبه الشهيرة "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل".

كنيسة مريم المجدليّة: اشترت روسيا الأرضَ التي بُنيت عليها الكنيسةُ من الدولة العثمانيّة عام 1885. بعد شرائها بدأ القيصر أليكساندر الثالث بناءَ الكنيسة وأتمّ بناءَها في غضون 3 سنوات، أي عام 1888. بناها تكريماً لأمّهِ ماريا أليكساندروفنا التي بدورها قالت إنّ مريم المجدلية أحقّ منها باسم الكنيسة، لأن مريم المجدلية هي أول امرأة ذهبت لزيارة قبر المسيح الفارغ. استُخدم في بناء الكنيسة الحجر الجيريّ المقدسي، وصُممت الكنيسة بالاعتماد على نموذج معماري روسيّ، يظهر ذلك في البصلات الذهبيات التي تزيّن سقفها.[27]

---

[26] "أرض الجسمانية.. لكل كنيسة حكاية"، هبة أصلان، الجزيرة نت، 12.11.2016، https://bit.ly/2QkmytN

[27] "العمارة في القدس: البناء الأوروبي المسيحي خارج الأسوار 1855-1915"، ديفيد كروينكر، ص134.

كنيسة بكاء الربّ (كنيسة الدمعة): على السّفح الغربيّ لجبل الزيتون. هي كنيسة صغيرة تتبع لبطريركية اللاتين، تتميز بأن المذبح الخاصّ بها يواجه تماماً الصخرة المشرفة داخل المسجد الأقصى المبارك. بُنيت عام 1955 على أنقاض كنيسة بيزنطية لتخليد قصص وردت في الإنجيل عن بكاء المسيح عليه السلام .

كنيسة بيت فاجي: تتبع للكنيسة الكاثوليكية، وبحسب المعتقدات المسيحيّة بدأ المسيح من هذه النقطة مسيره إلى القدس، ويوجد في المكان حجر يعود للفترة الصليبيّة، وعلى ما يبدو يعود للعام 1170 والحجر مزخرف برسومات لأحداث تعود للعهد الجديد. مبنى الكنيسة الحالي يعود إلى العام 1883 وقد رُمِّمَ مجدداً في العام 1954.

وأخيراً، نذكر المقبرة اليهودية الضخمة الموجودة على السفح الغربيّ الجنوبيّ لجبل الزيتون، والتي تقع أسفل مطل جبل الزيتون (مطلّة الأقواس السبعة). تعود ملكية أغلب الأراضي (بمساحة 250 دونماً) التي عليها المقبرة للوقف الإسلاميّ، وكانت موقوفة تحديداً على المدرسة الصلاحية في البلدة القديمة، تم تأجيرها كمقبرة خلال فترة الدولة العثمانية، تحديداً في العام 1872م لمدة 99 عاماً وانتهت مدة الإيجار في سبعينيات القرن العشرين (1971)، إلا أن الاحتلال الإسرائيلي فرض السيطرة عليها تحت الأمر الواقع، وما زال استخدامها وتوسيعها والدفن فيها مستمراً حتى اليوم.[28]

تكتسب هذه المقبرة اليهودية الضخمة مكانة مهمة لدى اليهود، لزعمهم أن الدفن اليهوديّ بدأ فيها منذ 3 آلاف عام، وأن البعث من الموت سيكون فوق وادي قدرون، وأن المدفونين في تلك المقبرة سيكونون أول من يُبعث من الموت.

لا ينفصل الجانب الديني، بغض النظر عن دقته، في هذه المقبرة عن الجهود الإسرائيلية الاستيطانية، فقد انتشرت عدة تقارير صحفيّة تفيد بوجود قبور وهمية في المقبرة[29]، أو محاولة تزوير التاريخ عن طريق نسب قبور بيزنطيّة أو يونانيّة على أنها قبور يهودية، إضافةً إلى الاهتمام الخاصّ الذي تُوليهِ جمعياتٌ استيطانيّةٌ لتطوير هذه المقبرة، مثل قيام جمعية "إلعاد" الاستيطانية، المسؤولة عن الاستيطان في سلوان، بإنشاء

[28] حسب معلومات الباحث في شؤون وتاريخ القدس بشير عبد الغني بركات، في مقابلة معه بتاريخ 29.09.2018

[29] "استمرار زرع القبور الوهمية في القدس"، وديع عواودة، الجزيرة نت، 30.05.2012، https://bit.ly/2N3SO2t

موقع إلكتروني خاصّ[30] لتوثيق القبور في المقبرة، وتخليد سير المدفونين فيها.

التاريخ النضاليّ

نظراً لأهمية موقعها كواحدةٍ من أعلى المناطق في القدس، تعرّضت الطُّور خلال النكبة إلى اعتداءات عدة من قبل الصهاينة من أجل احتلالها والسيطرة على القطاع الشرقيّ لمدينة القدس، وطريق القدس-أريحا (مدخل القدس الشرقي). منها ما وقع في فجر الرابع من أيار 1948، إذ هاجمت كتيبة من عصابة البالماح الصهيونية مستشفى أوغستا فكتوريا، ولكنّها فشلت باحتلاله بعدما تصدّت لها قوّةٌ من الجيش الأردني متحصّنةٌ داخل مبنى المستشفى، وأوقعت في صفوف الصهاينة 5 قتلى وعشرات الجرحى.

سَلِمَت قرية الطُّور من الاحتلال عام 1948، وخضعت للسيطرة الأردنيّة حتى عام 1967، فيما احتفظ الجيش الأردني بمواقع وتحصينات على سفوح الجبل، تحديداً في محيط مستشفى أوغستا فيكتوريا. شهد هذا الموقع معركة بين الجنود الأردنيين والجيش الصهيوني في حرب النكسة عام 1967، وفيه نجد قبوراً للجنود الأردنيين الذين استشهدوا خلالها.[31]

احتلت الطور عام 1967، وفي ذات العام ضُمّت أراضيها إلى نفوذ بلدية الاحتلال في القدس بموجب قرار الضمّ.

وفي العهد القريب، وتحديداً خلال هبة الشهيد محمد أبو خضير عام 2014، وما تبعها من هبّة عام 2015، شهدت الطور مواجهات شعبيّة ضدّ شرطة الاحتلال، تخللها إلقاء الحجارة والزجاجات الحارقة باتجاه مستعمرة بيت أوروت على الأخص.

الاستيطان

تتجسّد المظاهر الاستيطانية في الطور بمظهرين بارزين، هما بناء المستعمرات والبؤر الاستيطانية، والحدائق القومية، سنفصّل كليهما:

---

[30] أسس الموقع عام 2010، يمكن الدخول إليه من هنا: Mount of Olives in Jerusalem

[31] "من مذكرات المناضل بهجت أبو غربية: من النكبة إلى الانتفاضة 1949-2000)، بهجت أبو غربية.

البؤر الاستيطانية والمستعمرات

تقع على أراضي قرية الطور بؤرتان استيطانيّتان[32]، إحداهما توّسعت إلى ما يُشبه "الحي الاستيطانيّ"، وهي مستعمرة "بيت أوروت"، الواقعة على السفح الشماليّ الغربيّ لجبل الطّور مجاورةً حيّ الصوانة، وتحديداً أسفل ملعب كرة القدم المعروف في الطّور، والثانية هي مستعمرة "بيت هحوشن"، المعروفة باسم "البؤرة الاستيطانيّة دار أبو الهوى"، والواقعة وسط قرية الطور مقابل الزاوية الأسعديّة.

يرجع تاريخ مستعمرة بيت أوروت إلى عام 1990، وتُشكّل الوجود الاستيطانيّ الأول في قرية الطّور، وهي كذلك العقار الفلسطينيّ الأول الذي تم شراؤه من قبل الجمعيات الاستيطانيّة خارج البلدة القديمة منذ احتلال القدس عام 1967. ففي عام 1990 اشترى المليونير الأميركيّ اليهوديّ، المشهور بدعمه مشاريع الاستيطان في القدس، إروين موسكوفيتش، منزلاً فلسطينيّاً قديمَ البناء من أحد مالكيه الذي كان يقطن حينها في أميركا[33]. بعدها تحوّل المنزلُ إلى بؤرةٍ استيطانيّةٍ. خلال السنوات اللاحقة، توّسع النشاط الاستيطاني باتجاه الأراضي القريبة من المنزل، وبُنيت فوقها 4 مبانٍ جديدة، ليصبح مجموع الشقق الاستيطانيّة في الموقع 24 شقةً تُشكّل معاً "مستعمرة بيت أوروت".

إضافة لذلك، فإن المستعمرة تشمل مدرسة دينيّة يهوديّة -يشيفاه (تقع المدرسة اليوم في المنزل القديم الذي تم شراؤه عام 1990)، ويتجنّد طلابها في جيش الاحتلال، وتنشط فيها فعاليات استيطانية عديدة تستقطب أعداداً كبيرة من المستوطنين، منها مثلاً الاحتفال الذي يجري في المستعمرة في ذكرى احتلال شرقي القدس عام 1967، أو ما يُسمّى إسرائيلياً "يوم توحيد القدس"، ومنها الجولات التي تُنظم في محيط المستعمرة في مناسبة ما يُسمى "ذكرى خراب الهيكل" (عيد دينيّ يهودي). كما شهدت المستعمرة عام 2016 فعالية "ذبح القرابين" والتي يقوم بها اليهود قبيل عيد الفصح اليهودي، ويسعون عاماً بعد عام إلى تنفيذها في أقرب نقطة للمسجد الأقصى.

---

[32] في الاستعمال الدارج تُسمّى "بؤراً استيطانيّة" لأنها عبارة عن بيت أو مجموعة بيوت استولى عليها المستوطنون وواقعة وسط الأحياء الفلسطينيّة.

[33] هذه المعلومات وفقاً للموقع الإلكترونيّ التابع للمستعمرة (بالعبريّة)، http://www.beitorot.org/، وهي معلومات تؤكدها المصادر الفلسطينيّة كذلك.

وبحسب الموقع الإلكترونيّ التابع للمستعمرة والجمعية الاستيطانية التي تُديرها، فإنّها سُمّيت "بيت أوروت" نسبةً إلى "حنان بورات"، وهو أحد الحاخامات الذين ساهموا في تأسيس المدرسة الدينية (يشيفاه) في المستعمرة. واختير موقع المستعمرة "تكريماً" لقائده الجنديّ جيورا أشكنازي[34]، الذين قُتل في معارك عام 1967 بالقرب من موقع المستعمرة اليوم.

وفي الطور بؤرة استيطانية أخرى، هي "بيت هحوشن"، والتي تقع وسط حارة تُسمّى "الخلوة"، بالطريق نحو فندق الأقواس السبعة. ويُرفع على أعلى هذه البؤرة علمٌ إسرائيليٌّ ضخم تمكن رؤيته من جهات مختلفة من القدس. تُسمّى هذه البؤرة كذلك "بؤرة أبو الهوى"، لأنها تقع في شقق سكنيّة سرّبها فلسطينيّ من عائلة أبو الهوى.

يُشكل وجود هاتين البؤرتين الاستيطانيتين في قلب الطور استهدافاً للوجود العربي الفلسطيني فيها، ويؤثر على حياة الناس اليومية، من خلال التواجد المكثف لشرطة الاحتلال في البلدة، بالإضافة إلى نشاط حرّاس المستوطنين المسلحين.

الحديقة القومية

تعاني الطُّور كذلك من مظاهر أخرى للاستيطان، على شكل ما يُسمى "حدائق قوميّة". يُعلن عن مساحات من الأراضي كـ"حدائق قوميّة" من قبل وزارة الداخليّة الإسرائيلية تحت ذريعة وجود قيمة أثريّة أو طبيعيّة أو تاريخيّة فيها، كأن يُعلن مثلاً عن بقايا قلعة صليبيّة مثلاً وما حولها من آثار كمنطقة "حديقة قوميّة". بعد هذا الإعلان تُصبح المنطقة تحت إدارة "سلطة الطبيعة والحدائق"، وهي جهة حكوميّة إسرائيليّة.

في كثير من الأحيان، وخاصّة في مدينة القدس، يتم اختلاق ذرائع عن وجود تلك القيمة الأثرية أو الطبيعية أو غيرها، ويتم ربطها بالتاريخ اليهوديّ وبادعاءات مزوّرة حول تاريخ المكان وعلاقتهم به. في الطور دليلان على ذلك؛ "الحديقة القومية وادي الصوانة"، ومخطط "الحديقة القومية منحدرات جبل المشارف".

[34] المصدر السابق.

أُعلنت "الحديقة القوميّة وادي الصوانة" عام 2000 فوق 170 دونماً من أراضي وادي الصّوانة (شمال غرب الطّور)، بحجة خلق امتداد مع "الحديقة القومية حول الأسوار"، و"إعادة تمثيل المشهد الذي كان الحجاج يرونه فور وصولهم للقدس".[35] أي أن مصادرة تلك الأراضي ونقل صلاحيات استخدامها إلى "سلطة الحدائق والطبيعة" يأتي تحت حجة "الحفاظ على مشهد تاريخي كان يراه الأجداد في طريقهم للحج للمدينة". تتبع الأراضي التي تقع ضمن المنطقة المعلن عنها كـ"حديقة قوميّة" لملكية فلسطينيّة خاصّة ولملكية الأوقاف الإسلاميّة، والإعلان عنها كـ"حديقة قوميّة" يعني انعدام إمكانية تطويرها من قبل أصحابها، وبالذات انعدام إمكانية التوسع العمرانيّ فوقها. بالتالي، يمنع ذلك اتصال الأحياء الفلسطينيّة ببعضها، ويجعل من "الحديقة القوميّة" جيباً استيطانياً يفصل بين الناس.

يبدو ذلك واضحاً كذلك من مخطط "الحديقة القوميّة منحدرات جبل المشارف"، وهو مخطط لم يخرج إلى حيز التنفيذ بعد (بسبب اعتراضات والتماسات قانونيّة متكررة) والذي يلتهم أكثر من 700 دونم من أراضي العيسوية والطور، وهي ذات المساحات الوحيدة المُتبقية في القريتين لأي امتداد عمرانيّ مستقبلي[36]. الحجة التي يُقدّمها المخطط لمصادرة الأراضي من العيسوية والطور وإقامة حديقة قوميّة فيها هي أنّ في تلك الأراضي "غطاء نباتيّ مُميّز ومكتشفات أثريّة مهمة". يعرف أهالي القريتين تماماً أنه لا يوجد غطاءٌ نباتيّ مميّز أو نادر في تلك المنطقة يستدعي مصادرة أراضيهم ومنعهم من البناء فيها، كما أن حجم المكتشفات الأثريّة فيها يوازي حجم مكتشفات أثرية لم يمنع اكتشافُها في مناطق أخرى من بناء مستعمرات.

[35] يمكن الرجوع إلى موقع منظمة بيتسيلم الإسرائيلية للإطلاع على تفاصيل أكثر، الحديقة الوطنيّة عيمق تسوريم | بتسيلم

[36] يمكن الرجوع إلى موقع منظمة بيتسيلم الإسرائيلية للإطلاع على تفاصيل أكثر، الحديقة الوطنيّة منحدرات جبل المشارف والأضرار التي تلحقها بالعيسويّة والطور

من هنا يمكن فهم دور الحدائق القوميّة الإسرائيليّة في منع التمدد العمرانيّ الفلسطينيّ، ومنع الاتصال الجغرافيّ الفلسطينيّ، وبالأخص في المناطق القريبة من البلدة القديمة، والتي تُسميها "إسرائيل" منطقة "الحوض المقدس"، والتي تسعى فيها لتقليل عدد العرب، وللسيطرة على المزيد من الأراضي[37].

خاتمة

تعتبر الطور اليوم من المناطق المكتظّة في شرقيّ القدس، وتكثر فيها المحلّات التجارية، بالإضافة إلى كونها واحدة من أبرز المحطّات السياحية في القدس نظراً لوقوع الكثير من المعالم الدينيّة، وخاصة الكنائس، فيها. وللتجوال بين المعالم المختلفة فيها، يمكن البدء من وسط قرية الطور، وتحديداً من مسجد سلمان الفارسي والمقبرة بجانبه، ومن ثم التوّجه نحو دير الصعود الأرثوذكسي الروسي، ومن ثمّ مصعد عيسى، الزاوية الأسعدية، مقام رابعة العدوية، كنيسة أبانا الذي في السماء، ومن ثمّ المشي نحو مطلّة جبل الزيتون (الأقواس السبعة)، والنزول من الدرج أسفل المطلة نحو الكنائس التي تقع على سفح الجبل، كنيسة الدمعة، وكنيسة مريم المجدلية، ووصولاً إلى كنيسة الجثمانية، وكنيسة ستنا مريم. في نهاية هذه الجولة تجدون أنفسكم بالقرب من باب الأسباط، أحد أبواب البلدة القديمة.

[37] للمزيد اقرأ هنا: ""الحدائق القوميّة".. الاستيطان باسم الطبيعة"، هنادي قواسمي، متراس. https://bit.ly/34kGkvO